التقديم :

https://nidaulhind.blogspot.com

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)



الاساطير الهندوسية عن الكون وخلقه

لكل قوم أساطير، وللهندوس أساطير، وفى الأساطير الهندوسية ما هو يشبه كل الشبـــه بما جاء فى أساطير الشعوب الآرية الأخرى كالأغريق، والرومان، والألمانـــ القدماء، والذين يقطنون فى بلاد سكنداويا كأهل فنلندا، والسويد، والنروج. فقد وجدت أسطورة فى الكتاب الهندوسى «كهندوجيا اوپانيشد» تذكر «البيضة الأرضية»، فتقول إن هذه البيضة هى أصل الخليقة «انكسرت البيضة، فكان نصفها من الفضة والنصف الآخر من الذهب فصار النصف الفضى أرضا، والنصف الذهبى سماء، ونشأ من صفار البيضة الضباب والغمام، وتكونت من عروقها الدقيقة الأنهار، ومن زلالها البحر، وتولدت الشمس من البيضة». وقد قال علماء الأساطير إن هذه الأسطورة الهندوسية تشبه أسطورة شعب فنلندا فى باب الخليقة من كل الوجوه.

وليست الأساطير وحـــدها التى تشابهت فى كثير من الشعوب الآريـة بل تشابهت أسماء الآلهة ووظائفها كذلك.

والذى يحير الباحث هو التشابه بين الهندوس والمصريين القدماء فى كثير من أساطيرهم وأسمـاء آلهتهم وأبطالهم. كأسماء «امسيس، وستى، وهرى‌هر المصرية، وأسماء راما، وستى (زوجته) وهرى‌هر من (من الآلهة). وقد عبد المصريون عجل أبيس، كما يعبد الهنـــدوس «نندى» (Nandi) عجل «شيوا» (Shiva). ويقابل الاله المصرى «اوزيرس» الاله الهنـــدوسى «إسورا» (Iswara)، وكما حارب اوزيرس «طيفون»، كذلك حارب الاله الهندوسى «برهما» أخاه «وشنو» وتغلب عليـــه، ولكن «مهاديوا» قهره وقطع رأسا من رؤسه الخمسة. وتقول



«كنيش»

الأساطير المصرية إن الاله «رع» سكب دموعه، ومن أشعة هذه الدموع وجدت الخلائق كلها، وكذلك قالت الأساطير الهندوسية ان الخلائق كلها وجدت من دموع «براجاپتی».

والحاصل أن الأساطير الهندوسية تشبه أساطير الشعوب الأخرى ولكنها تمتاز عليها بأنها لا تزال دينا حيا تدين بها الملائين الكثيرة من الهندوس إلى هذا اليوم، بينما أصبحت أساطير الشعوب الأخرى تراثا للتاريخ.

خلق العالم

وقد عالجت الأساطير الهندوسية مسئلة خلق العالم، كما عالجته أساطير الشعوب الأخرى، غير أن الأساطير الهندوسية لم تتفق فيما قالته فى الموضوع، بل اختلفت اختلافا شديداً، فافترضت أشكالا وكيفيات عديدة لخلق العالم. ومن العجيب أن هذا الاختلاف لم ينل من قدسية الأساطير عند القوم، بل يؤمنون بها كلها على رغم اختلافها، بل تناقضها.

وقد تضاربت أقوال «ريگ ويدا» (Rig Veda) نفسه — وهو أقدم كتب القوم وأقدسه — فى بيان كيفية الخلق. ولقد جاء فى واحد منها إن الآلهة ضحت بعملاق، فتحول جسده إلى السماء، وتحولت سرته إلى الهواء، ورجلاه إلى الأرض. وقد خلق من مخه القمر، ومن عينه الشمس، ومن فمه الالاه «إندرا» والالاهة «اگنی» (النار) وخلقت من نفسه العواصف. ونشأت منه كذلك الطبقات الأربعة البشرية: فالبرهمن من فمه، وكشتريا من ذراعه، وويشيا من اضلاعه، وسودرا من قدمه.

وقد نسبت أساطير الشعوب الأخرى، خلق العالم إلى الاله الأكبر، إلا أن أسطورة هندوسية تقول إن الانسان هو الذى أوجد الكون كله بنفسه!

وذلك ان الروح الكونى تشكل بالشكل الانسانى، ثم نظر حوله فلم يجد هنالك شيئا غير نفسه، فصرخ بملء فيه « ها أنا ذا »، فوجدت من هذه الساعة كلمة «أنا»، ولذلك أول ما يقول الانسان إلى الآن عند كلامه عن نفسه «أنا» ثم يذكر اسمه. وشعر هذا الروح الكونى، أو الانسان الأول بالخوف من وحدته — ولذلك يخاف الانسان إلى الآن إذا كان وحيدا ليس معه أحد — ولكنه نظر حوله مرارا وتكرارا، ولم يجد غير نفسه، فقال: « لما ذا أخاف أنا، ما دام ليس هاهنا أحد غيرى، وإنما يخاف الانسان من غيره، لا من نفسه.

« ووحده نفسه لا يشعر بالسعادة — ولذلك لا يشعر الانسان بالسعادة إذا كان وحيدا — فرغب فى إيجاد قرين له، فقسم نفسه قسمين: قسم بقى على حاله، وتحول القسم الآخر إلى امرأة، فكانت هذه المرأة زوجته. ومن تلك الساعة تسلسل خلق الانسان ».

وقالت أنشودة من ريگ ويدا، أقدس الكتب الهندوسية وأقدمها ما نترجمه فيما يلى:

« لم يكن إذ ذاك شىء. لا الوجود ولا العدم، لا الهواء ولا السماء.

« وما ذا كان يغشى الكل؟ وعلى ما ذا كان يستقر الكل؟

« لم يكن هنالك شىء إلا لجة عظيمة متلاطمة من الماء.

« لم يكن الموت، ولا عدم الموت، ولا كان الليل ولا النهار.

«كان الواحد الوحيد، وحده إذ ذاك، يتنفس بهدوء، مدعما نفسه بنفسه، ولم يوجد شىء غيره ولا وراءه.

« وتسترت الظلمات فوقها ظلمات. بحر مائج هائج يغشى الكون.

[illegible] الواحد الوحيد، النائم، أخذ يتوسع فى داخل نفسه بحماس وقوة.

[illegible] وكانت هذه الرغبة أول جرثومة للعقل

كما حققه الحكماء.

« ومرق شعاع نارى، مزق تلك اللجة المظلمة المخيفة

« أ كان الشعاع فى الأسفل؟ أم كان فى الأعلى؟ كيف يدرى ذلك الشاعر المسيح؟

« ووجدت القوى الخصيبة العظيمة. ووجد فوقها نشاط لا يصيبه الكلل.

« ومن يدرى، ومن الذى يستطيع ان يقول، كيف نشأ هذا الكون المتسع؟

« لم توجد الآلهة إذ ذاك لتخبر بما جرى.

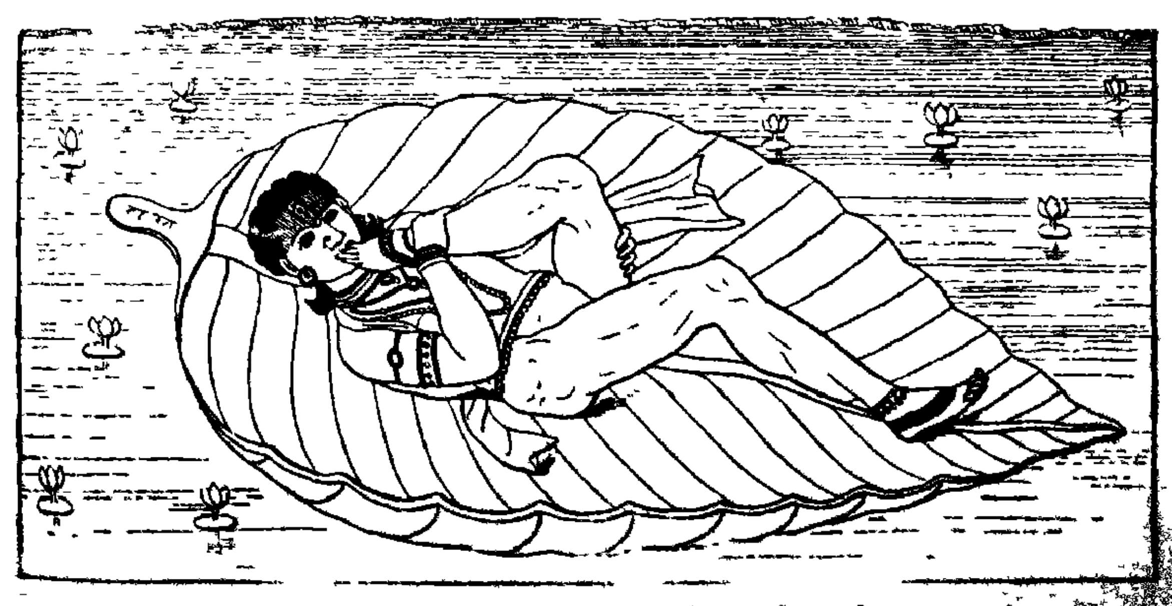
« من اين ظهرت هذه الدنيا الجميلة؟ هل صنعتها اليد الالهية؟

« ليس عند أحد علم بذلك

« وإن الرب الذى فوقنا، عنده وحده العلم

« ولكن هل هو يرضى بأن ينبئنا بالغيب؟ »

وعالجت تفاسير «ويداس» وشروحها «پوراناس» (Puranas) كذلك مسئلة الخلق، ولكنها كذلك لم تأت بشيء مقنع، بل نجد أقوالها متناقضة



الإله الأزلى «نارائنا» وهو يمتص ابهام قدمه

فمثلا تقول إن الاله الأولى « نرائنا » (Narayana) هو الذى خلق كل ما فى الوجود ، فخلق الكلام من فمه ، وخلقت كتب « ويداس » المقدسة من أخلاطه البدنية ، وخلق ماء الحياة من لسانه . والفلك من أنفه ، والسماء والشمس من عيونه ، والأماكن المقدسة من آذانه ، والسحب والمطر من شعره ، والصواعق من لحيته ، والصخور من أظفاره . والجبال من عظامه . إلى آخر ما قالت .

ثم تعود فتقول كان هذا الاله قبل خلق الكون ، يسبح فى البحر الأولى ، وهو راقد فوق ورقة من شجرة « بيان » (Banyan) ، يمتص إبهام قدمه فيه . تقول هذا ولا تخبر من الذى خلق البحر الأولى الذى وجد الاله سابحا فيه .

وكذلك تقول هذه الكتب إنه كان ، قبل أن يكون شىء . بيضة كوبية ، سمتها بـ « پراكريتى » (الطبيعة) . وقد تطورت هذه البيضة تطورات كثيرة فى دهور عديدة ، حتى تحولت إلى بيضة ذهبية .

لقد ظل « سيد الكون » مستكنا داخل البيضة الذهبية أكثر من ألف سنة . وكانت البيضة عائمة فوق سطح البحر المحيط . وبينما كان « سيد الكون » مشتملا على نفسه ، مستريحا داخل البيضة ، لا يفكر فى شىء ، إذ برزت من سرة بطنه زهرة لوطس ذات بهاء وضياء . لا تضاهيها ألف شمس فى بهاءها وضيائها ، وكانت الزهرة كبيرة جدا تسع كل ما هو فى الوجود . ومن هذه الزهرة خرج « برهما » خالقا نفسه بنفسه . ثم خلق برهما سائر الخلق بقدرته !

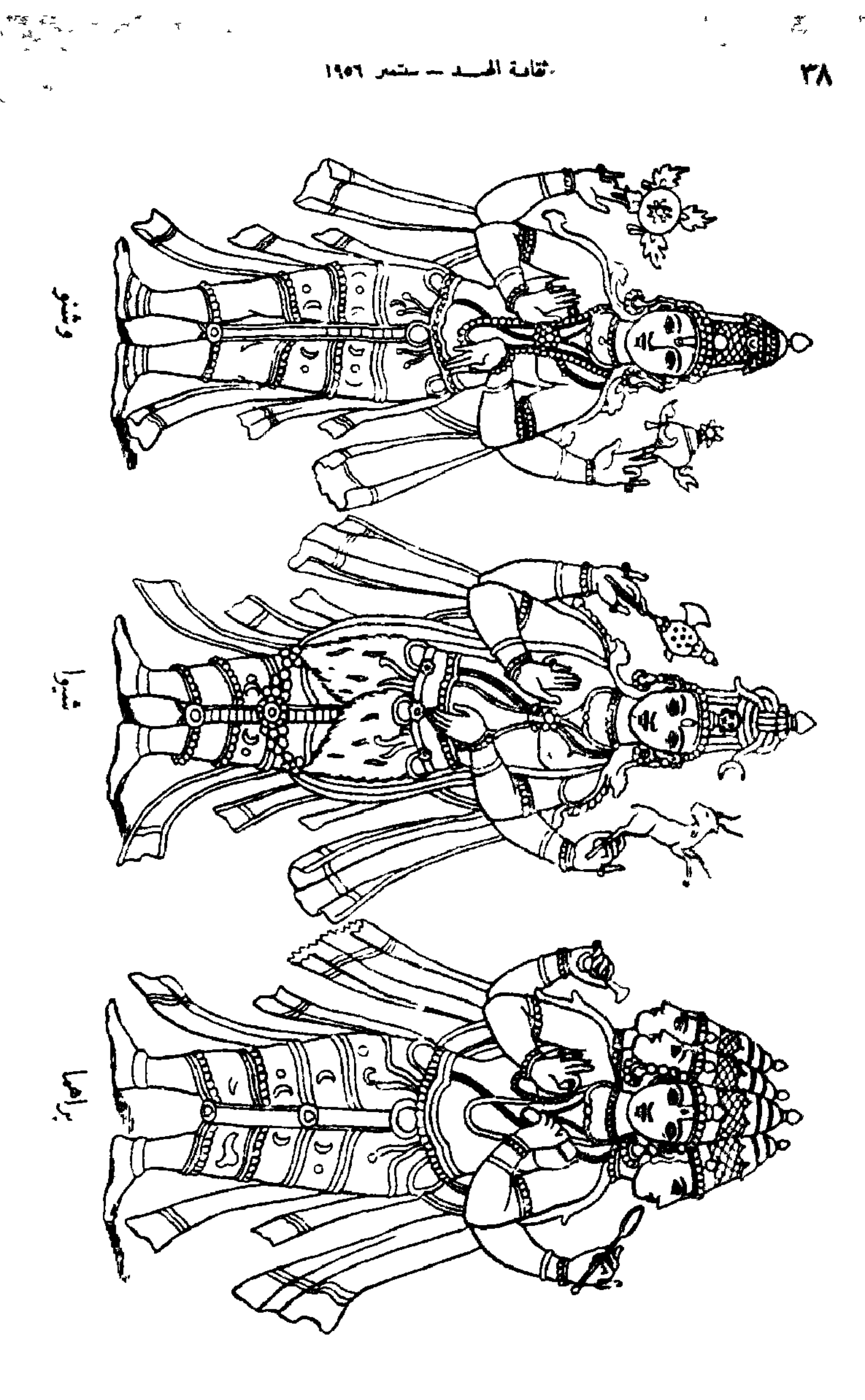
ولكن « برهما » تعرض لخطر عظيم قبل أن يخلق الخلق ! وذلك أن « برهما » بعد أن أوجد نفسه ، بقى دهورا لا يعمل عملا ، لأنه كان يجهل العمل ! وأخيرا تنبه إلى جهله ، فنبذه عن نفسه ، فنشأ من جهله الليل والظلام ، ومن الظلام تولدت الشياطين والعفاريت . ثم كان أن جاعت هذه الشياطين والعفاريت ، ولما لم تجد ما تسد به جوعها ، زحفت على « برهما » نفسه لتأكله ، فأخذ هذا يصيح

مذعورا «لا تقربوا منى، لأنى أبوكم، ولا يجوز لكم أن تأكلونى!» غير أن الشياطين والعفاريت الجائعة، لم تصغ إلى صياحه وهمت بأكله، فعند ذلك اضطر «برهما» إلى أن يخلق ما نراه اليوم من هذا العالم!

«وبعد أن اكتسب براهما قسطا من الحكمة بادر إلى خلق مخلوقات توحد فيهم الصفة الروحانية (ستوا) فأصبحوا سماويين. وخلق براهما من خاصرته فرقة «أسورا»، ومن قدميه الأرض، ومن سماته الحوارى، وهلم جرا.

وورد فى مؤلف بهكوت أن براهما بعد الاخفاق الأول الذى لازمه، خلق أربعا من العقلاء والحكماء وهم ساكا، وسادا، وسنتنا، وسنتاكمارا. ولكن ظهرت منهم معارضة لعملية الخلق وعمدوا إلى التقشف وإلى عبادة واسوديو. وبذا انحرفوا عن الهدف الذى خلقوا من أجله. فأغضب هذا براهما، فانبعث من هذا الغضب «رودرا» القوى الذى تولى على عملية التخليق.

وقد أورد العالم منو فى دستوره رواية مختلفة عن قيام الكون. فيقول هذا الثقة إن الخالق الأول الذى خلق نفسه بنفسه أحس بالرغبة لخلق مخلوقات مختلفة من جسمه، فخلق المياه أولا، ثم ألقى فيها بذراً، فتحول البذر إلى بيضة ذهبية لامعة تعادل لمعان الشمس، وإنه بنفسه تولد فى هذه البيضة كـ «براهما» — موجد العالم بأجمعه. ثم تمضى هذه الرواية إلى القول سميت هذه المياه «نارا» لأنها انبعثت من «نارا». وحيث أن المياه كانت فى دائرة حركته الأولى، سمى هو بنارايں. ولأن ذلك المولود قد خلق من الأسباب الخالدة التى لا تدرك بالحس والتى كانت موجودة وغير موجودة اشتهر فى العالم كـ «براهما». وبعد أن مكث داخل البيضة زهاء عام واحد، شطر نفسه بدافع تفكيره الخاص إلى شطرين. وبعد أن شطر براهما نفسه إلى جزئين تحول الاله بالنصف الواحد إلى الذكر وبالنصف الآخر إلى الانثى. وخلق فيها «ويراج» (جرثومة الحياة).


وشنو
شيوا
براهما

« ولتعـــلم أبى أنا (أى منو) الذى خلقى الاله الذكر ويراح سفسه خالق العالم كله ».

يستنتج من هذه الرواية التى تعتبر ممزوجة من أساطير متعددة بأن الفصل يرجع إلى منو فى حلق الكون. وإنه على سبيل المصادفة جسم سبقـة نارايں على نارا. وهى النقطة التى يكتنفها الغموض فى كثير من أساطير أحرى.

وجدير بى أن أذكر الأسطورة الأحرى التى تقول بأنه انبعثت الخليقة من دموع « پرجاپتى ». ولما جاء پرجاپتى فى الوجود من العدم بكى قائلا . « يا ترى لما دا ولدت إن كنت قد ولدت من هذا الذى لا حول له ». فالدموع التى سقطت فى الماء تحولت إلى الأراضى، والدموع التى مسها تحولت إلى السماء.

إن هذه الأسطورة تمثيل النظرية التشاءمية فى الحياة. وهى النظرية التى تمثل البوذية وعددا من المعتقدات الهدوسية.

ولقد لخص السير ويليمس فى ترنيمته عن نارايں كل ما استحسن من نظريات الهنـــدوس حول تخليق الكون. وحيث أن السير ويليمس قد لمس فيها روح الشعراء الأقدمين بلطافـة تامة وحيث أن سحية الأنشودة سامية ومثـالية، أرجو السماح من القراء إن استوردت الترنيمة بطولها·

« يا روح الأرواح! أنت التى بسطت المكان فى جميع جهاته، وبسطت الزمان الذى لا نهاية له،

« قد أمرت الضوضاء أن يتخذ سبيل النظام الجميل إلى ما وراء حدود الخيال السامى،

« فأنت الموجودة قبل وجود السماء:

« فأنت قد استويت على العرش

«قبل أن دارت الأجرام تحتنا أو الأجرام فوقنا،
«وقبل أن علقت الأرض نفسها فى الهواء الفلكى،
«حتى بمصل حبك الحق،
«وثبت إلى الوجود الأشياء المعدومة،»
«والأنشودة الطريفة قد غنيت.
«يا أيتها الخير المقصود!
«ما الذى حملك على أن تطلق القوات فى بداية الأمر؟
«يا أيها الحكمة البالغة!
«ما هو النور البهى الذى انبعث من قوتك؟
«ما الذى حملك عليه فى بداية الأمر؟ إيه، اهدى محليتى سواء السبيل!
«إيه، ارفعى من القرار الثقيل روحى المغموسة فى الطرب!
«حتى ترتفع حرينة على أجنحة من نار،
«لأنك أنت التى تعلمين وأنت التى يمكنك أن تبعثى فيها النشاط،
«مذهولة فى الظل الدائمى المفرد.
«فى الكآبة العريضة من النور القوى،
«المبيع، الحرير، الفسيح،
«قبل أن انبعثت الروح وتظاهرت الأشكال
«عاين براهما ذهن نفسه.
«ولما حدقت العينان الفانيتان النظر (وهكذا نعبر المحدود باللامحدود) إلى المرايا المصقلة
«فبنظره وثب إلى الوجود مسرعاً شكل فائق فى الجمال وله لمعان غير منضود،
«ويمكن للمعانه أن يذهل خمسين شمسا.
«وسميت الالاهة الأولى بـ «مايا»،

وهى التى أعطت لسيده بالحب المهيج اللاهوتى تابوتا مملوءة بالأفكار العالية
فخلق به هذا العالم الفاخر؛
ولما أراد الله القدير أن يخلق،
عددا غير محدود من العوالم
فطهر من الوحدة إلى الجمع،
بينما ضحكت الخليقة السارة، وربت القدرة الخصيبة
فأولا، صوت فعال عميم امر المياه أن تسيل فسالت المياه
مطربة فى مكانها الذى ليس له إحصاء.
منشرة، وافرة. عميقة،
من فوق، ومن تحت، ومن جميع الجهات
ثم هب النسيم الابتدائى على الميدان المائى الوسيع حتى نهض حباب لامع
وأخذ يسمو فى شكل متقن، كأنه بيضة سامية،
واللمعان الذى وجد فيه. لم يظهر فى أى خليقة أخرى،
ولا تعرف الأرض جمالا تفوقه.
ورقص بالخفة على الأمواج المتناضلة،
حتى خرج مرفرفا من قشرته المنفلقة على الميدان المائى
شكل سماوى اللون فى غاية من الجمال،
أبهى ما يكون فى الموجودات، وأعظم العظماء،
فلم يكن كالبشر الذين يغطسون وفى أعينهم نوم الصبح،
بل كان ملقى على اللوطس فى تأملات سماوية،
فأزهر اللوطس بلبس منه وانبعث منه شعاع ذهبى.
مرحبا بك، يا أيتها الزهرة الأولى!
مرحبا بك، يا أيتها الدرة السماوية!

يا زهرة «كمل» أو زهرة «پدما»!
أو زهرة أى اسم حسن ترضين بها أخبريني
ما هو اللاهوت ذات الأوجه الأربعة
الذى طلع من خدعك الأحمر،
فى لباس فاخر وتاج مرصع؟
براهما الذكى الكامل!
قام وهو فى تفكراته الهائمة،
وخرجت من حوالى عينيه سهام نارية.
ولكن بينما فتش عن أصله العيني
رأى فسيحا من مياه زرقاء أمامه.
ولم ير ينبوعها ولم يعرف!
ثم ارتد إلى ساق النبات الذى خرج منه
ولأحقاب بعده بحث عن المسألة وهو فى قلق وألم،
ماذا كانت قواته، ومن الذى وهبها له، ولماذا؟
كان متحيراً بالشكوك، ومهيجا بصبره العنيف،
فقام، ولما قام سمع
القول الحق المملوء بالعلم الكلى
براهما! لا تصر على بحث ما لا يطاق،
لا يمكنك أن تسمو على السحاب، اذهب ومر جميع العوالم أن يظهر فى حيز
الوجود
أهلا بك يا أيها الموجود بذاتك! قد أطلق عليك بالنطق السماوى اسم «نارين»
بسبب أرجوحتك المائية:
أو أنت «ونا مالا» بالشريط الزاهر الذى يتدلى إلى نعليك،

هل لى أن أغرد بدون لوم عن جمالك الذى لا يمكن أن يوصف؟
أو «بيتامبر» الأعلى الملبوس بالألسنة الصفراء التى هى أكثر ضياء من الأشعة
الشمسية الوهاجة فى منتصف النهار، التى تنسج نورها السماوى حول الكرات
السيارة.
أنت الذى لا تمل، أنت الذى لك العينان مثل زهرتى اللوطس،
أنت العدو المستمر للشر العنيف بقوتك الجبارة!
حواسى المغشية قد ملأتها هذه الأفكار،
وتعوم عيناى فى الظلام،
وأى عين يمكنها أن تحمل شعلتك،
وأى نطق يمكنه أن يعبر عن أعمالك بالبوق المصى أو بالودع البوقى المكلل.
إن الروح العليمة بقوتها المسيطرة تأمر أن تشرق من كل إدراك فيضانات مضيئة،
وتلمع فى قوس القزح، وتتلألأ فى الأنهار،
وتبسم فى البرعم وتضحك فى الزهر الذى يظهر
على المظلة الربيعية فى البستان،
وتنهد فى الرياح وتغرد فى حلقوم كل طائر من الطيور التى ترحب باتيان الربيع
الناضر،
أو تنطق عن حبها فى نغمات رائقة
بينما المغنى المغتبط يطرق سلك المنافس حتى ترن به الصخور والغابات؛
وتتنفس بالروائح الطيبة فى غابة الصندل، أو فى الأمكنة التى ترعى وتلعب فيها
غزال المسك الثمين،
وتقطر فى العصير العذب من عقود الفواكة،
وتحترق للصحة فى القرنقل اللذيذ؛
وتملأ نفوذ وجودك فى الشواطئ الناعمة والجبال النضرة،

وتنفخ الروح بإرادتك فى الهواء، والسيول، والكهوف، والغابات، والميادين،
وتحكم تخيلك السامى على الجميع.
يا أيتها القبة الزرقاء البلورية والنيران العصرية التى تلتهب وتتمس فى الهواء
السيال اللطيف.
ويا أيتها القوة الفعالة التى تحيط فروعك هذه الكرة المشعولة البال بالحركات
الدائرية المشكلة،
والجبال التى تشيد أوج قممها الحريئة المضيئة فى السماء، وتمرح ألوانها الخضراء
بالنور الياقوتى الأزرق.
والروضات الهادئة والمرجات التى تتلألأ بالألوان المختلفة من أوراقها وأزهارها
المزركشة بالندى.
فلهذه الأشياء أن تبعد من أنظارى!
هى صور خادعة! ومظاهر لا أساس لها!
إن روحى المستغرقة تعلم فقط وجودا وحيدا،
ومن المحسوسات تدرك المصدر الوحيد الذى لا انقطاع له،
والذى ينشأ منه كل مادة وكل شأن.
فالشموس تشتق قواتها منه،
والسيارات تعلم مصيرها منه.
ولكن لا أرى الآن شموسا ولا عوالم،
فإنى أرى الله فقط، وأحمد الله فقط.

مدة العالم ونهايته

إن الأساطير الفلكية عند الهندوس ترد وحدة الكون الرسمية إلى «كلپا»
أى إلى يوم من أيام براهما الخالق. يخلق براهما فى الصباح العوالم الثلاثة:

الأرض، والجنة، والجحيم. وفى الليل تنتشر العوالم الثلاثة فهى فى فوضى، والمخلوق الذى لم يبلغ درجة التحرر والخلاص يحتفظ بجوهره ويتحول عند نهوض براهما إلى الشكل الذى تقتضيه أعماله.

فتمضى الليالى والأيام هكذا بأحداثها الخطيرة إلى أن يبلغ براهما سن المائة. وبعدها تتحول العوالم الثلاثة والأجرام وجميع الموجودات بما فيها نفسه و «ديوا» و «ريشى»، و «أسورا»، والرجال، والمخلوقات، والمادة، كل هذه تتحول إلى الطوفان العظيم ولما ينقضى قرن آخر من الفوضى الذى لا نظام فيه يولد براهما آخر

ولنحسب القارئ من الوجل عن سن نفسه نخبره بأن «كلپا» أى يوما من أيام براهما يعادل ٤،٣٢٠،٠٠٠،٠٠٠ سنة مما نعد من السنين الأرضية.

يقسم يوم براهما بدوره إلى ألف احقاب كبيرة متساوية فى امتداد زمنها، ويتألف كل منها من أربع أحقاب وهى «كريتا»، و «ترِيتا» و «دواپارا»، و «كالى»

فى حقبة كريتا يكون الدين على أربع أرجل، أى أنه يكتمل من نواحيه الأربعة. فتختص الحقبة بممارسة الفضائل الأربعة: الصدق، والشفقة، والورع، والانفاق فى سبيل الله وتوصف رجال هذه الحقبة بالقناعة، والشفقة، والمحبة، واللطف، وضبط النفس والمعافاة. والناس يراعون فيها مبدأ المساواة ويتمتعون بلذة الروح المروضة.

وقد أورد هوبمان فى مهابهارت صورة واضحة لحقبة كريتا هذه، فيقول إنه لا يوجد فى تلك الحقبة تنوع فى الآلهة ولا تنوع فى البشر ولا يعرف الناس عمليات البيع والشراء، ولا يبذل الناس جهدا، لانهم يحصلون على متاع الدنيا وثمراتها بمجرد رغبتهم فيها. ولا يظهر أى مرض أو فتور فى أعضاء الحواس كما

يظهر بمرور الزمن. ولا يعرف أصحابها الحقد، أو البكاء، أو الاغترار بالنفس أو الخداع. ولا يكون هناك تنازع، أو مقت، أو ظلم، أو وحل، أو حزن، أو حسد، أو غبطة. وتكون طبقات الناس متساوية فى وظائفها مؤدية لواجباتها، تداوم على عبادة إله واحد، ودعاء واحد، وطقس واحد، وتكون لهم صحيفة واحدة.

وتستمر حقبة «كريتا» لمدة ١٧٢٨٠٠٠ عام ويقال إنه يكون الأبيض لون الآلهة خلال هذه الحقبة

وفى الحقبة التالية «ترتيا» يكون الدين على ثلاثة أرجل ويرمز ذلك إلى أن الفضيلة تنقص فى ذاتها بالربع فالناس فيها يتمايلون قليلا إلى المكر والتخاصم وتمتاز هذه الحقبة بظهور أناس مائلين إلى الانغماس باللذات، ولكن يفوق عدد البراهمة عليهم بكثير، ويكون البراهمة على إلمام بالتعاليم الصحفية ولو أن الناس يصبحون شاطرين ويبدأون بمراعاة أغراضهم، ولكنهم مع ذلك يكتمون بالمشاغل الدينية ويحافظون على أوقات أدائها.

وتمتد هذه الحقبة إلى ١٢٩٦٠٠٠ سنة ويكون الأحمر لون الآلهة.

وفى الحقبة الثالثة «دوابارا» يقوم الدين على رجلين فاستناده ضعيف جدا. وينتشر الزور والمقت وعدم القناعة بالكثرة. ويبقى النصف من مبادئ الاخلاص والعطف والتسامح، ويكون الأصفر لون الآلهة وتكون للصحائف أربع طبقات.

يعتنى بعض البراهمة فى هذه الحقبة بدراسة الصحف الأربعة، وبعضهم يكتفى بدراسة ثلاثة منها ويدرس فريق صحيفتين فقط. وفريق لا يعتنى ولا بواحدة منها. ويكون البراهمة على إلمام بنصوص الصحائف. ويتمسك كثير من أفاضل «كشتريا» و «ويشيا» بدينهم بعناية تامة.

ومدة حقة دواپارا هى ٨٦٤،٠٠٠ عام.

والحقبة الأخيرة هى كالى وهى الحقة الخاصرة المنحطة. إن الدين فى هده الحقبة على رحل واحد فهو مطروح على الأرض. وبق فى هـــذه العصر ربع من جميع الفصائل أى فضلتها. وتنعدم هده البقية الباقية أيضاً. فتنتشر عوامل الاثم والعدوان.

وقـــد وصف الشعراء ببلاغتهم وفصاحتهم تعاسة هـدا العصر. وورد فى مهابهارت بأنه أصبح القسم الأعظم من أهل هدا العصر عبيدا وقعوا فى الوساوس واتخـذوا سبل الخبث والظلم والتخاصم، فهم الأشقياء ومتانتهم مثانة الفقراء ويتريأ النـاس بالغرور والباطل، والكسل، والبطئ، والمكر، والعـاء، والهم والخوف، والفقر ويعيشـون فى ظلام دامس وحبب إليهم ما هو المنحط السافل فيجدون أنفسهم فى شقاء متواصل ويأكلون بشراهة عظيمة.

الرجال فى هـــدا العصر منقادون لزوجاتهم وتصبح النساء قليلة الحيـاء، شـديدة الخسارة، ميالة إلى الشهوة ويلدن أولادا وافرا. ويكثرن من الطعام والكلام والـثرثرة. وتزدحم المدن باللصوص والمفسدين. وتسيطر الرذائل والخداع على الأعمال التجارية. وتتسرب القسوة إلى قلوب الملوك فيمصون دماء رعاياهم بغير حق ويقصر أصحاب المنازل فى واجباتهم ويأخـذون بالتسول على الطرقات. وتفسد أحوال البراهمة فينحدرون إلى مستوى العبيد.

وتكثر الفيضانات والقحط على الزرع والمحصولات، ويتناقص عدد السكان بسبب الحروب والمجاعات. وقصـارى القول إن أحوال العالم تتردى إلى حـد يحمل العقلاء والحكماء على الابتهال فيرجون ظهور الاله المدمر «كالكى».

أما مدة هذه الحقبة فهى ٤٣٢،٠٠٠ عام. وتكون الآلهة سوداء اللون.

ومن الطريف أن نلاحظ أننا الآن حسب هذا التقويم فى الألف السادس من حقبة «كالى» من العصر الحاضر المشئوم. وهذا أول يوم للسنة الخامسة والخمسين من عمر براهما

يدل كل هذا على أن نظرية الحياة الهندوسية هى نظرية الارتقاء التدريجى إلى الانحطاط. ومن الغريب أنه يوجد هذا التصور عن انحطاط العالم فى معتقدات جميع المذاهب، فأتباع مجموعة الديانات السامية يعتقدون بجنات عدن، وهى الفردوس الأرضى الذى طرد منه أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام لسوء عمله واضطر إلى العمل والموت

وهناك أسطورة مصرية تقول بأن الانسان كان خالدا وسعيداً فى الأيام الماضية ولكنه دبر مؤامرة وأراد أن ينزع العرش من «الأب الأول» ففشل فى أمره وعثر على جريمة وهو متلبس فيها، فحكم عليه بالفناء

ويقول الشاعر اليونانى «هيسيود» (Hesiod) بأن أساطير بلاده تقسم التاريخ فى خمس عصور ففى البداية قام أولمبين تحت أمر كرونوس بخلق رجال من ذهب فكان أهل هذا العصر يعيشون كالآلهة فى السعادة التامة، ولم يضطروا إلى استعمال الأيدى للعمل لأن الأرض كانت تؤتى ثمارها بدون أى عناء ولم يعلم هؤلاء تعاسة الشيخوخة وكان الموت بمثابة الانتقال من اليقظة إلى النوم العميق وبعد وفاتهم قررت أرواحهم فوق الأرض ليحافظوا على الأحياء ويساعدوهم.

وبعد ذلك خلق الآلهة رجالا من فضة على أنه لا يمكن مقارنة هؤلاء بمن سبقوهم فى العصر الذهبى. فبقوا على الحالة الطفولية لسنين عديدة. ولما بلغوا رشدهم رفضوا الخضوع لآلهتهم وبدأوا يتقاتلون فيما بينهم. وبعد وفاتهم تحولوا إلى أرواح طيبة تعيش فى حيز الأرض.

ثم تبعتهم الرجال من البرونز الذين انبعثوا من شجر البلوط وكانت لهم قلوب قاسية وحاسدة والشهوة قرضت الدنيا بوجودهم. وهؤلاء الناس صنعوا جميع الأشياء من البرونز فبسبب اختراعاتهم انتقلوا من عالم النور إلى عالم الظلام — عالم الملك هاديس، فلم يبق لهم عزة ولا ذكرى

وبعد ذلك قام الاله زيوس بخلق جنس بشرى من الأبطال، الذين حاربوا فى تيبس ولما قضى هؤلاء نحبهم، نقلهم «أولمبين» إلى ديار السعادة فى أطراف العالم

وتلى هؤلاء الأبطال الرجال من الحديد، وهم الجنس البشرى فى العصر الهمجى الحاضر. وقد كتب علينا الكد والكدر فى الليل والنهار، ولا تنتهى هذه التعاسة إلا عندما تزول هذه السلالة ويكون ذلك حينما ينعكس نظام الطبيعة وتتحول المحبة إلى الحقد

وقد أورد مؤلف «بوراما» صورة مختلفة عن الطريقة التى ينهدم فيها العالم فى نهاية حقبة «كالى» فتقول إحدى الروايات إن الاله «وشنو» سوف يظهر على شاكلة الاله «كالكى»، وهو يكون بطلا مسلحاً، راكبا على حصان أبيض، وله جناحان محلان بالجوهرات، ويظهر محركا بيده فوق رأسه حسام الدمار والخراب، وحاملا فى يده الأخرى قرصاً. ويرفع حصانه قدمه الأمامى الأيمن. وإن الدنيا واقفة على رأس «شيشا» الحنش، والحنش جالس على ظهر سلحفاة وعندما يضرب حصان كالكى قدمه الرافع على الأرض، تسقط السلحفاة فى الهاوية وتتخلص من الثقل العظيم، وهكذا يهلك جميع حشاء العالم.

وورد فى بهگوت أحوال هذا العصر وما فيه من الهول فى هذا العصر تمتنع الغيوم عن التقطر فى صورة الأمطار على الأرض لمدة مائة عام. فلا يجد الناس طعاما يأكلونه. فلما يعضهم الجوع بأنيابه يضطرون إلى أكل بعضهم

بعضا. وهكذا يغلب عليهم العصر فيلقون بأيديهم إلى التهلكة والفناء.

وورد فى محل آخر ذكر الطوفان العالمى بتفاصيله الواضحة. يكون هنالك قحط لمدة سنين، وبعد ذلك تظهر فى السماء شموس ملتهبة تمتص جميع المياه، ثم تهب على الأرض ريح من نار تأكل جميع الأشياء وتتسرب إلى العالم السفلى فتتلف كل ما فيه فى لحظة واحدة وهكذا يحترق العالم بأسره.

وبعد ذلك تتراكم الغيوم اللامعة ذات الألوان العديدة كجموع الفيلة المزينة بأكاليل من البرق، ثم تنشق بغتة فتمطر لمدة اثنى عشر عاما باستمرار إلى أن يتوارى جميع العالم بجباله وغاباته تحت سطح الماء. وبعد ذلك تنعدم الغيوم والإله الموجود بذاته الذى هو أول سبب لجميع الأسباب، يمتص الرياح ويعود إلى سباته وعندئذ يصبح العالم فسحة من الماء.

إن يوم براهما ينقسم أيضا إلى أربعة عشر أدوار زمنية، يحكم فى كل واحد منها معلم، ولا يفنى هذا المعلم عند فناء العالم بعد كل حقبة من الأحقاب الكبيرة المذكورة وقد وصف الحكيم «ماركنديا» فى مهابهارت كيف بقى معلما فى الطوفان الأخير وها هى الحكاية

إن المعلم — وهو يساوى براهما فى المجد — مارس الامتناع عن اللذات لمدة عشر آلاف عام. وقد حدث ذات يوم بينما كان مشغولا فى التأمل والتفكير فى اللانهاية، وهو قائم على قدم واحد على شاطئ نهر ورافع إحدى ذراعيه، إذ شاهد سمكة خرجت من الماء وطلبت منه النجدة ضد سمكة أخرى أكبر حجما كانت تطاردها

فما كان منه إلا أن التقط السمكة من النهر ووضعها فى جرة من طوب. وكبرت السمكة بحيث أن الجرة لم تكد تسعها. فأخذها المعلم وألقى بها فى بركة

من الماء. فكبرت هناك أيضا وتضايق عليها البركة. فالتجأت إلى المعلم أن يلقى بها فى مياه نهر كنكا. فكان لها ما أرادت. ولكنها ازدادت فى الحجم لنهر كنكا أيضا فنقلت إلى الأوقيانوس.

وابتسمت السمكة فى الأوقيانوس وأبدت للعلم نفسها فبدى له أن براهما كان قد تقمص فى صورة السمكة وتكلمت السمكة عن الغيب فأخبرت أن العالم سيهلك بطوفان عظيم، وطلبت منه أن يبنى سفينة وينقل إليها العلماء السبعة والبذور المختلفة كما عددها البراهمة القدماء وأن يحفظها على صورة محكمة.

وامتثل المعلم لأوامرها وعندما بدأ الطوفان أقلع سفينته وربط حبالها إلى قرنى السمكة.

« وحملت السفينة أما البشر فى الأوقيانوس،
« فى أمواجه الراقصة ومياهه القاصفة،
« وهبت الرياح فقذفت السفينة يمينا وشمالا،
« فداخت السفينة على سطح المياه العميقة
« فتمايلت وارتعشت كامرأة سكرانة.
« ولم تظهر الأرض،
« ولا الأفق البعيد، ولا المسافة فى ما بينهما،
« لأن المياه الهائجة قد انتشرت فى جميع الجهات
« وكانت البحارات قد تراكمت فى الجو والسماء اللامحدد
« فلما غرق جميع العالم فى الطوفان، لم يظهر شىء على الأمواج،
« سوى المعلم والعلماء السبع والسمكة التى قادت الفلك.
« وساقت السمكة السفينة لسنين عديدة ولم تتعب
« فكانت تجرى بها على المياه المتراكمة، إلى أن استوت السفينة على هيماوان.

وأخذت المياه بالهوط والمعلم معها ووصل المعلم إلى الميادين فى الوقت المعلوم وأخذ بعملية الخلق لحقبة «كريتا» اللاحقة.

وفى هذه الحكاية مماثلة عظيمة بالأسطورة العبرانية عن الطوفان وسفينة النوح. ولعل المصدر للروايتين واحد.

الأساطير الهندوسية فى الجغرافية

تقول الروايات القليلة الواردة فى «ويدا» أن الشعراء الويديين تصوروا الأرض مفروشة وعريضة لا حدود لها، وإنها على شاكلة الدولاب ولا توجد هناك إشارة إلى وجود أوقيانوس محيط بها.

وأقدم النظريات عن نشأته هو أن العالم يحتوى على الأرض والسماء وتختلف الآراء عن شكل الأرض فإذا اتحدت بالسماء، فورنت بطاسين قد وضعا وجها لوجه ومن وجهة أخرى شبهت الأرض والسماء بدولابين على طرفى محور.

إن أساطير «پورانا» تختلف كليا فى بيانها عن استناد الأرض وتقسيمها. فى إحدى الروايات تظهر الأرض مستندة على رأس «شيشا» الحنش، والحنش جالس على ظهر سلحفاة فوق المياه الأولية

وقيل فى رواية أخرى إن الأرض مستندة على أربعة من الفيلة.

وهناك رواية ثالثة تقول إن أربعة من العفاريت يحملون الأرض فوق أكتافهم، وإن الزلازل تقع فى الأرض حين يعتريهم التعب فيضطرون إلى نقل الكرة من كتف إلى آخر

وتحدث بعض روايات «پورانا» عن وجود سبع جزائر من القارات، وأن الأرض هى القارة الداخلية. وقد سمت العالم «جزيرة جامبو» وذلك بسبب أسطورة عن شجرة جامبو التى تنبت فوق أحد جبال الجزيرة. ويساوى حجم

فواكه الشجرة، حجم الفيلة. وعنــدما تنضج الفواكه، تتساقط على الجبل ويتحول عصيرها إلى نهر جامبو، وكل من يشرب ماءه يلاقى الصحة والحياة

يقع جبل «ميرو» فى وسط العالم، ويبلغ ارتفاعـــه ٨٤٬٠٠٠ فرسخا فوق الأرض، وتقع جبال همالـيا فى جنوب ميرو وتقع بلاد «بهارت ورشا» (أى الهند) المقدسة بين همالايا والبحر المالح

وتقوم على قمـة جبل «ميرو» مدينـة براهما التى تمتد إلى ١٤٬٠٠٠ فرسخا. وهى مشهورة فى السماء. وتقع حواليها مدن «إندرا» والنائبين الآخرين للكرات ويسيل نهر گنگا حول مدينة براهما. ويسكن فى منحدرات جبل ميرو ووديانه جميع طبقات البشر

وتعتبر بلاد «بهارت ورشا» الواقعة بين همالايا والبحر المالح أعظم وأحسن بلاد فى الأرض والسماء، وذلك لأنها مركز الحركة، فى حين أن البلاد الأخرى، ولو أنها سعيدة، ولكنها مناطق مستمرة على حالة واحدة.